الأبعاد الفلسفية في قصة حي بن يقظان



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

عندما نتحدث عن علمائنا العرب فإننا أمام صرح عال لا يرقى إليه أي متسلق ومتسلح بالمعرفة، ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ ابن طفيل الفيلسوف والمفكر والقاضي والطبيب والفلكي. إذ يعد ابن طفيل الأب الروحي للنزعة الطبيعية في التربية عبر رسالته "حي بن يقظان"، والذي حاول فيها التوفيق الفلسفي بين المعرفة العقلية والمعرفة الدينية، درس على يد ابن باجة وخدم في بلاط أبو يعقوب يوسف حاكم الأندلس من سلالة الموحدين، كان معاصرا لابن رشد وصديقا له، لم يصل إلينا من كتبه سوى قصة(حي بن يقظان) أو (أسرار الحكمة الإشراقية) وقد ترجم إلى عدة لغات أجنبية، وهي قصة تشتمل على فلسفته وقد ضمنها آرائه ونظرياته، وتدور القصة حول(حي بن يقظان) الذي نشأ في جزيرة من جزر الهند تحت خط الاستواء، منعزلا عن الناس، في حضن ظبية قامت بتربيته وتأمين الغذاء له من لبنها وما زال معها، وقد تدرج في المشي وأخذ يحكي أصوات الظباء ويقلد أصوات الطيور ويهتدي إلى مثل أفعال الحيوانات بتقليد غرائزها، ويقايس بينها وبينه حتى كبر وترعرع واستطاع بالملاحظة والفكر والتأمل أن يحصل على غرائزه الإنسانية وأن يكشف مذهبا فلسفيا يوضح به سائر حقائق الطبيعة.

والأساس الفلسفي لهذه القصة هو الطريق الذي كان عليه فلاسفة المسلمين الذين نهجوا على مذهب الأفلاطونية الحديثة وقد صور ابن طفيل الإنسان، الذي هو رمز العقل، في صورة حي بن

يقظان و(يقظان) هو الله تعالى، وقد رمى ابن طفيل من ورائها إلى بيان الاتفاق بين الدين والفلسفة وهو موضوع شغل أذهان فلاسفة الإسلام.

إن ما يميز قصة حي بن يقظان التي كتبها الأديب والطبيب والفيلسوف الأندلسي أبو بكر محمد بن طفيل، هو الفرادة في اعتماد الفكرة، والابتكار في البناء الفني، والبراعة في المعالجة، والفعالية في الإيحاء.

لقد عرض ابن طفيل في هذه القصة سيرة المعرفة الإنسانية، عبر سيرة ربيب ظبية دُعِي حي بن يقظان، وكيف تمكن بفطرته الفائقة من الارتقاء بالمعرفة عن طريق الحواس والتجربة إلى المعرفة العقلية القائمة على نتائج ومعطيات ما جربه وخبره في عالم الكون والفساد حتى وصل إلى الحكمة الشرقية، وجاء بحثي المتواضع حول **الابعاد الفلسفية في قصة حي بن يقظان،** لنقف على المواطن والمفاصل الفلسفة الرئيسة في هذه القصة، وارتأيت أن يكون هذا البحث على شكل عناوين مفصلية، لتقريب الافكار الفلسفية فيه، لاني وجدت أن عمل المباحث والفصول يزيد من غموض الأفكار، والله الموفق.

الباحث



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

- **ابن طفيل:**

ولد ابن الطفيل في إحدى السنوات العشر من (٤٩٥هـ- ١١٠١م) إلى (٥٠٥هـ- ١١١١م) وتوفي في نحو الثمانين من العمر (٥٨١هـ- ١١٨٥م)، ونشأ محباً للعلم والثقافة؛ فدرس اللغة والأدب والشعر والفقه وبقية العلوم الدينية، كما درس العلوم العقلية واشتهر خاصة بالطب والرياضيات والفلك والموسيقى والفلسفة وتأثر ببحوث أبي بكر بن الصائغ المعروف بابن باجه معاصره وإن لم يلق شخصه كما تأثر بأمثال ابن باجه من فلاسفة المغرب والمشرق[١]. وألف بعض الرسائل الفلكية والفلسفية ولكن الزمان والفتن أتت عليها ما عدا واحدة منها تبوأت مكانة كبيرة في عالم الفكر وكان لها أثر عميق في قرّائها بأصلها العربي أو بترجماتها المتعددة، وهي رسالة "حي بن يقظان" التي هي موضوع هذا البحث.

كذلك قد قرض الشعر ووصلنا من شعره القطع الصغيرة التي تنمّ على تمكنه من النظم وعلى سليقة طبيعية طيبة وعلى اتجاه فلسفي وروحيّ عميقين.

و" قد نبه أمره وعلا شأنه في عهد دولة الموحدين التي أطلقت حرية الفكر وشجعت البحوث الفلسفية إلى أن صار طبيب الأمير يوسف أبي يعقوب بن عبد المؤمن ونديمه ووزيره. رأس



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(١) ينظر: المراكشي، عبد الواحد: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط١، ١٩٤٩، القاهرة، ص٢٣٩-٢٤٠.

ايضا: بروكلمان: **تاريخ الادب العربي**، ص١، وملحق ج١.

هذا الأمير دولة الموحدين بين ٥٥٨هـ-١١٦٣ و ٥٨٠هـ-١١٨٤م"(٢).

وكان ابن طفيل في سن الستين من عمره أو تجاوزها، وقد اكتمل معرفة وحكمة، وهكذا نجد أن الحكم هذه المرة يمد يده إلى الحكمة فيتعاونان ويتشاوران، وما أصوب اللغة العربية حين اشتقت الحكم والحكمة من أصل واحد، بل الحكم في الأصل الأول معناه الحكمة، ومن الطبيعي أن يقرب ذلك الأمير رجل عصره في الطب والفلسفة فلقد كان له ولع بتقريب أهل العلم وبجمع الكتب المتنوعة(١).

- مختصر القصة:

إن ولادة حي بن يقظان يبقى لغزا، ومع ذلك فإن الرواية السائدة تقول أن حي بن يقظان قد ولد تولدا جسديا مألوفا من أم هي شقيقة ملك إحدى الجزر الهندية، ومن أب هو قريب لها اسمه يقظان، كانت شقيقة الملك قد تزوجته خفية عن شقيقها الذي منعها من الزواج، وعندما وضعت المرأة طفلها خشيت من نقمة شقيقها الملك، فوضعت الطفل في تابوت وألقته في البحر. حملت الأمواج التابوت حتى ألقته على ساحل جزيرة مجاورة هي جزيرة الواقواق. وصادف أن مرت في المكان الذي استقر فيه التابوت



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(٢) المقري، أحمد: **نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب**، ط١، ١٣٠٢هـ، القاهرة، ج١، ص ٧٥.

ينظر: ابن خلكان: **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان**، مكتبة النهضة، ١٩٤٨، القاهرة، ج٦، ١٣٣.

(١) المراكشي، عبد الواحد: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط١، ١٩٤٩، القاهرة، ص٢٤٣.

ظبية كانت تبحث عن ابنها الذي فقدته فسمعت صوت بكاء الطفل فاتجهت نحوه، وكان أن عثرت على حي الوليد فأرضعته وحضنته.

يكبر حي بن يقظان وتمر حياته في سبع مراحل. أما الأولى فهي إرضاع الظبية لحي وحضانتها ورعايتها له حتى أصبح سبع سنوات. ثم بعد ذلك وفاة الظبية وتشريحها من قبل حي لمعرفة سبب الوفاة، وهنا بدأت تتكون عند حي المعرفة عن طريق الحواس والتجربة. أما المرحلة الثالثة فكانت في اكتشاف النار. أما المرحلة الرابعة فكانت في تصفحه لجميع الأجسام التي كانت موجودة حوله، فكن بذلك يكتشف الوحدة والكثرة، في الجسم والروح، واكتشف تشابه الكائنات في المادة واختلافها في الصور. أما المرحلة الخامسة فكانت في اكتشاف الفضاء وهذا شجعه إلى الخروج من رصده إلى معارف في العالم بقدمه وحدوثه. عند بلوغه الخامسة والثلاثين من عمره، بدأ حي مرحلته السادسة وهي الاستنتاج بعد التفكير، فتوصل إلى أن النفس منفصلة عن الجسد وفي التوق إلى واجب الوجود. وأخيرا، يصر حي بن يقظان، في المرحلة السابعة على أن سعادته تكون في ديمومة المشاهدة لهذا الموجود الواجب الوجود ورغبته في البقاء داخل حياة رسمها هو لنفسه.

مما ينبغي إضافته أيضا في بداية الدراسة هذه، "أن معنى اسم حي بن يقظان لم يكن وليد صدفة. ف"حي" يرمز إلى العقل الفعال أو النفس الملكية المفكرة، وهو عقل خالد حي لا يتغير ولا



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

يهرم. و"ابن يقظان" هو القيوم الذي لا ينام له جفن"(١)، ويهدي الإنسان إلى الحقائق عن طريق المنطق ويحذره إتباع الحواس والغرائز فقط.

- الفلسفة القصصية:

إن التحول من شيء إلى شيء آخر هو بمثابة الانتقال الكلي أو شبه الكلي فابن طفيل استطاع ان يبني موضوعه الفلسفي بطريقة قصصية استطيع ان اسميها بالفلسفة القصصية فقد استطاع ابن طفيل في هذه الرسالة الرائعة ان ينتقل من النوع القصصي إلى الفلسفي الذي يعد في نظري اصعب من القصصي لان القصصي فيه أشياء ثابتة للسرد أما الفلسفي فأراه صعبا لما فيه من ايرادات للرموز والخيال و"إن استحضار عالم الخيال أو الرمز لعرض الأفكار الفلسفية أو للتعبير عنها في قالب فني من الأساليب التي عهدتها الفلسفة منذ نشأتها، وفي ذلك أمثلة لا تحصى فيها على سبيل الذكر استخدام أفلاطون للترهات الإغريقية وللأساطير إطارا أو على سبيل الاستشهاد في محاوراته مع طيماوس وكريتياس من الشعر وتشوانغ تزو من القصص قوالب لعرض الفلسفة الطاوية. وهنا لا بد من التنويه بما وصلت إليه العناية بالقالب الفني جماليا وتقنيا لدى ابن سينا في قصيدة النفس، والمعري في رسالة الغفران، بحيث وصلت هذه الأعمال فنيا إلى المستوى الفني الراقي فلسفيا حتى كانت قصة حي ابن يقظان القمة.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(١) **الفكر التربوي عند ابن طفيل في كتابه حي بن يقظان**، تح: د. عبد الامير شمس الدين، دار الكتاب العالمي، د.ت، ط١، ص١٩.

ولا شك أن المقومات التي نشأت وقامت عليها القصص الفلسفية الأوروبية ابتداء من القرن الثامن عشر حتى اليوم من "فولتير Voltaire" و "روسو Rousseau" و "سارتر Sartre" و "كامو Camus" وغيرهم مثلا تنتمي إلى تلك المقومات التي حُبكت عليها قصة حي بن يقظان"(١).

- المعرفة في حي بن يقظان:

إن الإنسان ومنذ خلقه وإنزاله إلى الأرض نجده دائما في حالة بحث مستمر سواء على الطعام أو المعرفة التي استطاع وبفضل الله أن يتوصل إلى أشياء وحقائق لا يستطيع ان يصل اليها وحد، كما في قوله تعالى: {**وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**} {البقرة، ٢٥٥}، ونجد في "سيرة المعرفة الإنسانية تلك التي يعرضها كتاب حي بن يقظان تلفت نظرنا في نشأتها تلك البيئة، ونعني بها العزلة عن الناس، التي يعيشها نموذج هذه السيرة. وسرعان ما يتكشف لنا أن حياً أخذ يغالب هذه العزلة بطلب المعرفة، فطلب المعرفة وسيلة من وسائل التغلب على العزلة، إذ تدفعنا المعرفة إلى الانصراف عن عزلتنا المركزة في ذواتنا، وتنقلنا إلى مكان آخر وزمان آخر، حيث نتصل بالذات الأخرى*، فهي فرار من العزلة ومخرج لمعرفة أنا أخرى. وعن

---

(١) ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص ٥٦.

* ينظر: المظفر، محمد رضا: **الفلسفة الإسلامية**، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص ٨٦.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

طريق المعرفة يخرج الانسان من توحده، ويتوقف عن الحياة في نفسه لنفسه. وليس من الممكن أن نتجاهل الجانب الاجتماعي للمعرفة إذ أنها تساعد على إقامة الاتصال بين الناس، فإن كل محمولاتها وكل منطقها الجماعي وجهازها المنطقي من تصورات ولغة ومعايير وقوانين.. كلها اجتماعية(٢).

- منهج ابن طفيل التربوي:

يؤكد ابن طفيل على أهمية الاستعدادات العقلية والانفعالية عند الإنسان. فالإنسان يمتلك قابلية التعلم والإدراك بالفطرة السليمة وعلى هذا الأساس تمكن حي من إدراك المحسوسات والمعقولات إدراكاً يتصف بالتمام والكمال. لأن عقل حي كان مهيأ باستعداد فطري للكشف عن طبيعة الحقائق والعلاقة الجوهرية بين الأشياء: بين الخالق والمخلوق، بين الجسد والروح، بين المتشابهات والمتناقضات، وبين القضايا المتقابلة والمتعاكسة. ومع ذلك كله فإن هذه المعرفة لا تحدث بصورة عفوية كيفما اتفق بل تحدث عبر منهجية عرفانية ترتبط بالعمر والخبرة والتجربة والبيئة. فالطبيعة عامل كشف وإلهام وهي التي تصقل الفطرة وتنمي فيها انقداحات المعرفة وبفضل التجربة الطبيعية لحي تمكن من الكشف عن ماهية الأشياء وطبيعة المعقولات. ويبين ابن طفيل المنهجية التي يعتمدها حي في كشفه وفي إشراقاته العقلية. ويتكون هذا المنهج العرفاني من الخطوات التالية:

---

(٢) ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٥٩.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

أولاً ــ الانتقال من البسيط إلى المركب في معرفة الكائنات والمخلوقات والأشياء. إذ كان حي ينتقل في عملية المعرفة ومن السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المركب.

ثانياً ــ الانتقال من الظاهر المحسوس إلى الباطن. وتلك هي حالة حي عندما ماتت الظبية حيث كان يبحث في ظاهر الأمر، فلم يعرف سبباً لموتها ولكنه افترض غياب الروح فيها وهي كينونة لا تشاهد بالعين المجردة ولو كانت كذلك لشاهدها.

ثالثاً ــ الانتقال من المحسوس إلى المعقول وهذا يشمل إدراك حي لمبدأ السببية والعليّة ومبدأ الوحدة والكثرة ثم ماهية الأشياء ومكنوناتها.

رابعاً ــ الانتقال من الجزئي إلى الكلي ومن الخاص إلى العام وهذا يدل على المعرفة الاستقرائية التي ينتقل فيها الإنسان من الملاحظات الجزئية إلى القانون العام الذي يشملها.

لقد تلقفته الطبيعة في المهد ووفرت له ما يناسبه من الحنان والرعاية عبر الجزيرة والظبية والطيور والأشجار والثمار. فأيقظت فيه هذه الطبيعة حب التأمل والتفكير فولدت فيه فضول العارفين وانطلقت به إلى الحلم الكبير لإدراك الصوفي الإشرافي للعالم والكون.

فالتربية يجب أن تكون طبيعية لأن ابن طفيل عاش في أحضان الطبيعة وتغذى من عطائها وتعلم منها فن التفكير والحياة والعمل والتأمل والنظر والبحث عن ماهية الأشياء. ويلاحظ في



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

هذا السياق أن ابن طفيل يؤكد في نسق تصوراته أن الطبيعة كافية بذاتها لتربية الإنسان وقادرة على أن تأخذ به إلى أكثر معالم الرشد والمعرفة الإنسانية تقدماً.

ويعتقد ابن طفيل مرة أخرى أن الطبيعة خيرة لا شر فيها، وليس ثمة نزع شر أصيل في النفس الإنسانية. كان حي خيراً بفطرته وكانت الطبيعة حاضنه الذي ينضح بكل الخير وبين لقاء الطبيعة والطبيعية (بين طبيعة حي وطبيعة الجزيرة) امتلك حي زمام نفسه نحو الخير المطلق. " فالعلاقة هي جدل طبيعي بين الخير الذي يتأصل في كل طبيعة. وتلك هي الطبيعة الأم التي يلجأ إليها الإنسان عندما يحاصره الفساد والظلم والقهر في المجتمع. وكأن ابن طفيل كان يرى في الطبيعة ملاذاً ومنهجاً يمكّن الإنسان من العودة إلى أصالته الخيرة والتحرر من أثقال المجتمع التي تنذر بالفساد، يشكل مذهب ابن طفيل في "حي بن يقظان" ينبوعاً للفكر الطبيعي في الفلسفة والتربية، ويعد علاّمة التربية الطبيعية وربان المذاهب الطبيعية المختلفة ا لتي شهدتها أوروبا في القرن الثامن عشر على يد المفكر الفرنسي جان جاك روسو في كتابه إميل. ويقرّ كثير من النقاد بأن روسو كان قد نهل من معين الفكر الطبيعي عند ابن طفيل وأنه قد قرأ بتمعن كبير قصة "حي بن يقظان" واطلع على مضامينها واستفاد منها في تشكيل نظريته الطبيعية في التربية والسياسة. ففي كل منحى من مناحي فكر ابن طفيل تطالعنا الطبيعة بجمال تكوينها طاقة سامية خلاقة تمكن حي من الوصول إلى



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

أقصى غايته وأنبل طموحاته الإنسانية بوصفه مفكراً أنسياً عاقلاً وحكيماً(١).

وباختصار فإن "حي بن يقظان" يرسم في كتابه هذا ملامح نظرية طبيعية في التربية متعددة الاتجاهات بعيدة الغايات تحمل في ذاتها نسقاً يفيض بتصورات فلسفية وإنسانية تتميز بطابع الشمول والأصالة.

- التربية في حي بن يقظان:

لقد استطاع ابن طفيل في رسالته حي بن يقظان ان يرسل اشارة واضحة في التربية الاجتماعية والتي كانت مما يمتلكه المؤلف وما له من قدرة عالية فأول ما "يُلفت النظر في تربية حي بن يقظان هو ذلك الحنان الذي تُضفيه الظبية على ربيبها حي. لم يترك ذلك الحنان أمر ترك الطفل ينشأ تنشئة طبيعية بحيث تنمو شخصيته بحريته دون أن تفارقه مربيته الظبية. وبعد موتها نجد حيّ بن يقظان إنساناً يعيش بعيداً عن المجتمع البشري يسعى إلى المعرفة ويكتسبها متطوراً بكل الأساليب المذكورة أعلاه"(٢).

- ما وراء الطبيعة في حي بن يقظان:

قد تكثر الما ورائيات في الكثير من القصص والروايات ولكن نجد أن ابن طفيل قد "تنبه منذ قرون عديدة إلى ما يمكن أن



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(١) من مقال عن **حي بن يقظان**، للدكتور علي أسعد جريدة الأسبوع الأدبي عدد(٨٩٣)،د.ت، بتصرف.

(٢)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٦٧-٦٨.

يؤديه الفن في التعبير عن فكره الفلسفي، فكان أن استخدم فن القصة، وكانت قصة حي بن يقظان التي قدمت لنا فكر ابن طفيل الفلسفي، فإذا نحن أمام سيرة للمعرفة الإنسانية"(٣).

قبل أن يطرح حي بن يقظان مسألة قدم العالم، نجده يمرر مبادئ فلكية وكوسموغرافية مختلطة بالجغرافيا. نلاحظ أن اهتمام ابن طفيل بالعالم الطبيعي عظيماً جداً، لكن قصد تأليف حي بن يقظان أن يبحث عن عالم ما وراء الطبيعة في الدرجة الأولى.

ونضيف أن ابن طفيل قد أراد من خلال تناوله عالم ما وراء الطبيعة كشف الوصول إلى "الحكمة المشرقية" التي ذكرها ابن سينا، كما أكد ذلك لبن طفيل نفسه في مطلع قصة حي بن يقظان، باعتبار أن الحكمة المشرقية على ما يبدو من رأيه هي قمة المعرفة الإنسانية(١).

ما وراء الطبيعة يتناول الوجود الطبيعي في ماهيته الأولى التي لم يتح للوجود الإنساني معاصرة أو مشاهدة نشوء هذه الماهية، ولم يكن للعقل البشري المجال للإحاطة بمدى هذه الماهية. ولتأريخ نشوء الوجود الطبيعي لا بد من اعتماد المقياس التقليدي ونعني به الزمن. وفي قصة حي بن يقظان لا يُجْزَمْ ما إذا كان الزمن سابقاً لوجود العالم أم لاحقاً به.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(٣)ن،م: ص٥٨/٥٩.

(١) ينظر: العراقي، عاطف: **الميتافيزيقيا في فلسفة ابن طفيل**، دار المعارف، ط٥، ١٩٩٢، ص ١٢٨.

وأعتقد أن المشكلة الأساسية في نظر ابن طفيل ليست هي اعتقاد حدوث العالم أو اعتقاد قدمه، وإنما هي فيما ينشأ عن كل من الاثنين، وهو يرى أنه سواء اعتقادنا قُدم العالم أو حدوثه، فإن النتائج عن ذلك واحد، وهو أن هذا العالم لا بد له من موجِد ومن محرك.

" وهذا يعني أن ابن طفيل قد ذهب مذهب أرسطو في ذلك وعلى كل فإن نشوء وتحقق الوجود يمر عند ابن طفيل بمراحل ثلاث هي(٢):

- الهيولي: ومن المعروف أن الهيولي شبيهة بالعدم فهي خالية من الحياة مجردة من الماضي المادي وتنتفي منها الصورة(٣).

- العناصر الأربعة(الكيفيات الأربعة): وهي الماء والهواء والتراب والنار، وهي المظاهر الطبيعية الأولى أو أولى مراتب الوجود، فقد تبين لحي أن جميع الأجسام التي في عالم الكون منها ما تتقوم حقيقتها بصورة واحدة زائدة على معنى الجسمية، وهذه هي العناصر الأربعة(١).

- الصور: ومنها تتقوم حقيقتها بأكثر من ذلك كالحيوان والنبات. فما كان قوام حقيقته بصور أقل، كانت أفعاله أقل، وبعده عن الحياة أكثر، فإن عدم الصورة محله لم يكن فيه إلى الحياة طريق، وصار

---

(٢)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٧٧.

(٣) ينظر: ابن سينا: **التعليقات**، مكتبة الإعلام الإسلامي، ط٤، إيران، ٢٠٠٠، ص ٤٠ .

(١)ينظر: ابن سينا: **التعليقات**، مكتبة الإعلام الإسلامي، ط٤، إيران، ٢٠٠٠، ص ٨٣.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

في خال شبيهة بالعدم، وما كان قوام حقيقته بصور أكثر، كانت أفعاله أكثر، ودخوله في حال الحياة أبلغ. وإن كانت تلك الصور بحيث لا سبيل إلى مفارقتها لمادتها التي اختصت بها كانت الحياة حينئذ في غاية الظهور والدوام والقوة[٢].

فالشيء العديم للصورة هو الهيولي والمادة، والمادة ولا شيء من الحياة فيها وهي شبيهة بالعدم، والشيء المتنوه بصورة واحدة هي العناصر الأربعة وهي أولى مراتب الوجود في عالم الكون ومنها تتركب الأشياء ذات الصور الكثيرة.

- القيم الأخلاقية في حي بن يقظان:

ان القارئ لرسالة حي بن يقظان يخرج بتجلي واضح مما قرأه الا وهو الاخلاق وقيمها في ما يسرد لنا ابن طفيل و"أما الأخلاق في قصة حي بن يقظان فهي تتجلى حيناً في موقف نفسي عاطفي يظهر مثلاً في تلك المحبة، وذلك العرفان بالجميل من حي نحو الظبية التي ربته من خلال مساعدتها وإطعامها وجلب الثمار لها عند عجزها. كما نرى الأخلاق تتجلى حيناً في موقف من النمط الاجتماعي التمدني - رغم عدم وجود مجتمع أو مدنية - بمساعدته كل الحيوانات أو الطيور التي تعاني من عاهة ما أن يساعدها، برفعها أو اقتلاع شوكة ضارة.. ويصل الموقف الاجتماعي التمدني لدى حي على المستوى الطهارة وإزالة الدنس والرجس عن جسمه والاغتسال بالماء في أكثر الأوقات، وتنظيف

---

(٢)ن، م: ص ٦٦.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

ما كان من أظافره وأسنانه وبواطن بدنه، وتطييبها بما أمكنه من طيب النبات وصنوف الدواهن العطرة"(١).

– المعرفة بالعلوم في حي بن يقظان:

ان الاكتشاف لا ياتي بالصدفة دائما بل بالتجربة والممارسة على الأفعال، وكما يقال إن الحاجة هي أم الاختراع والاكتشافات فالمعرفة العلمية التي استطاع ابن طفيل ان يعرضها في رسالته حي بن يقظان هي "المعرفة التي سُميت علوماً طبيعية هي أول ما وصل إليه حي بن يقظان، وقد باشر بعلم الحيوان والطب إذ قام بتشريح الظبية وتعرف إلى أعضائها الداخلية عضواً عضواً ودقق في أوصافها ووظائفها، ومن ذلك ينتقل إلى النبات والمعادن وأصناف الحجارة والتربة والماء والبخار والدخان،* وبالنسبة إلى صفات الأجسام وخواصها نجد حياً يكتشف الأحجام في الأجسام، وإلى الحرارة والبرودة وتحولاتها ونحو ذلك من الاختلافات. ويبدو أن حياً اكتشف الجاذبية وأثرها على الأجسام من حيث ثقلها، وقد كان التشريح أداة حي للتعرف إلى الأعضاء ودراسة وظائفها. فإذا بقصة حي بن يقظان تقدم ما يشبه دروساً ابتدائية في التشريح وأصوله. ثم ينتقل حي من وصف الأعضاء ووظائفها وسيما القلب

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٦٨-٦٩.

* ينظر: العاملي، حسن محمد، **نظرية المعرفة محاضرات جعفر سبحاني**، مؤسسة الإمام الصادق، ص ١٩٩.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

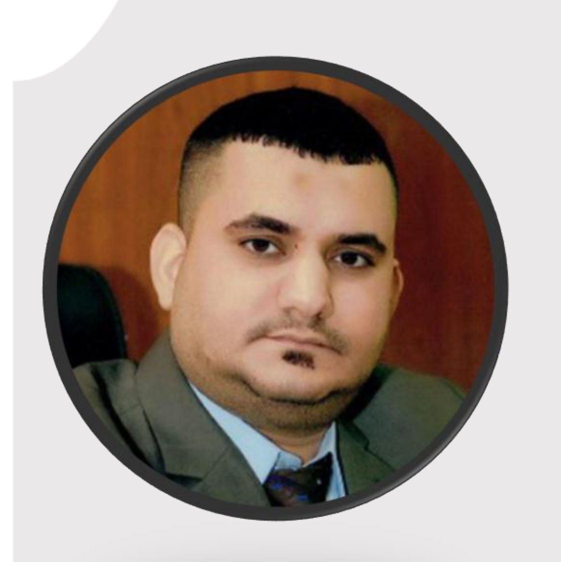
البريد الالكتروني:

إلى التعرف إلى الحواس وميزاتها، ويلاحظ حي بن يقظان دقة الحواس بالدماغ والأعصاب"(٢).

- الحكمة المشرقية والتصوف في حي بن يقظان:

قد تكون هناك بعض الروابط المشتركة بين الحكمة المشرقية وبين التصوف المعتدل وكما "يذكر ابن طفيل في مطلع قصته أن الحكمة المشرقية المقصودة هي "التي ذكرها الشيخ الإمام الرئيس أبو علي ابن سينا". والحكمة المشرقية، عند ابن سينا، هي إدراك حقائق العالم من طرق الإرادة والعقل. وسبيل ذلك أن يقصد الإنسان إلى أن تتسع معرفته بالوجود ويعظم اختباره حتى يصبح له حدس قوي فيصرف حقائق العالم وعلل المظاهر المتعددة بأدنى تأمل. ويريد ابن سينا أن يفرق بين الحكمة المشرقية وبين التصوف حينما يقول وهو المعنى الذي يسميه الصوفية بالاتحاد. ومع أن ابن سينا ينسب هذا العلم إلى الإدراك العقلي*، فإنه يعتقد أن العبادة الباطنة على الأخص وهي التأمل والاستغراق في تفهم حقائق العالم، كالعبادة الظاهرة من الصلاة والصيام، تساعد هذا الإدراك على أن يقوى(١).

والمتابع لسيرة حي بن يقظان يجد انه استطاع أن يحيط بكل شيء عن الوجود من أدنى الأجسام المادية وأصغرها إلى



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(٢)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٧٠/٧٣.

* ابن سينا: **التعليقات**، مكتبة الاعلام الاسلامي، ط٤، ايران، ٢٠٠٠، ص٥٨.

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٧٩/٨٠.

أرقى درجات الصور الروحانية عن طريق العقل الذي أعياه فأصبح متصوفاً، وعرف الله من خلال المشاهدة والكشف. "أما كيف حصل على هذه النتيجة، فبوثوب العقل إلى نتيجة التأمل الذي خضع له العقل زمناً طويلاً قبل ذلك من غير شعور بأنه قد مر في مراحل طوال كثار قبل أن وثب إلى تلك النتيجة المعينة"(٢).

- الهندسة والفلك في حي بن يقظان:

إن ابن طفيل أراد في رسالته أن يثبت ما تعلمه من علوم جمة ويصبها في هذه القصة فهو يعرف الهندسة والفلك فأراد أن يوصل أفكاره عن طريق حي بن يقظان عندما "أثبت بطلان لانهائية الجسد بنموذج هندسي كان يسلك مسلك العالم التجريبي، أم مسلك الفيلسوف العقلي. وأبعد من ذلك، أكان ابن طفيل في معرض ذلك يأخذ بالهندسة الإقليدية أم يذهب إلى أبعد من ذلك؟ الجواب على السؤال يعود للاختصاصيين في الرياضيات، لذلك نقف عند حدود عرض النموذج من خلال ما قاله هانز ريشنباخ في كتابه "نشأة الفلسفة العملية، وعلى كل، فإنه لا خلاف على أن ابن طفيل قد جعل حي بن يقظان يعتمد الرياضيات ليتأكد من نظرياته الفلسفية، ذلك أن حياً بعد أن ينتهي إلى هذه المعرفة "تفكر في العالم بجملته، هل هو شيء حدث بعد أن لم يكن، وخرج إلى الوجود من العدم؟ أو هو أمر كان موجوداً فيما سلف، ولم يسبقه العدم إلى بوجه من الوجوه". في هذه العبارة يلمح ابن طفيل إلى

(٢) ينظر: عمر فروخ: **الفارابيان**، مكتبة منيمنة، بيروت، ط٢، ١٩٥٠، ص٦٣-٦٤.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

المبدأ المشهور الذي أثبته لافوازييه بعده بستة قرون عندما قال: "لا شيء ينعدم في الصدفة ولا شيء يُخلق من العدم، كل شيء يتحول ويتبدل"(١).

*** التطبيق في البحث:**

- الأبعاد الفلسفية في قصة حي بن يقظان:

يستخدم ابن طفيل الرموز والأساطير في قصته الأدبية "حي بن يقظان" وهو يضع فرضيتين رمزيتين لأصل "حي بن يقظان" وولادته واستقراره في جزيرة من جزر الهند.

في الافتراض الأول : يرى ابن طفيل أن حي توّلد من الطين بلا أم ولا أب، وفي الافتراض الثاني : يرى أن حي هو طفل غير شرعي لأبوين في جزيرة قريبة تزوجا دون علم الملك فوضعا حي عند ولادته في قارب صغير استقر على ضفاف الجزيرة ؛ فتلقفته غزالة كانت قد فقدت وليدها فأغدقت عليه عطفها وحنانها وتعهدته بعنايتها حتى استقام له الأمر وشب عن الطوق .

ويمضي ابن طفيل مع الافتراض الثاني، حيث عاش حي وترعرع في الجزيرة بين الطيور والحيوانات وبدأ يكتشف نفسه والعالم الذي حوله عن طريق التأمل والتفكير، وسرعان ما بدأ يطرح الأسئلة الفلسفية الكبرى التي تتعلق بالمعقولات وبأصل الوجود، وفي غمرة تأملاته العقلية واستغراقه الكامل في النظر



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٧٣-٧٦.

والتفكير لاح له العالم الروحاني بصوره التي لا تدرك بالحس بل تقبل ذلك بالنظر العقلي والحدس واستطاع حي بمحض فطرته وصدق طويته اكتشاف العلاقة بين العلة والمعلول والفاعل والمفعول بين الوجود وواجب الوجود وبرهن على أن الكون واحد في الحقيقة وأن هذه الوحدة ناجمة عن وحدة الخالق ووحدة التكوين. وبدأ عقله ينقدح تساؤلاً في ماهية الخلق والخالق وقدم الخلق وحدثانه وراح يتساءل هل هو شيء حدث بعد أن لم يكن أم أنه خرج إلى الوجود بعد العدم؟ أم أنه أمر كان موجوداً ولم يسبقه العدم؟ وقد تبين له بالحجة العقلية الدامغة أن لكل حركة محرّك ولكل مخلوق خالق وأن الخالق هو رب العزة خالق الخلق وباعث الرزق وهو الله رب العالمين سبحانه وتعالى جل جلاله وعزّ كماله .

واكتشف بعين العقل وحكمة النظر أن الخالق روح مطلق ونور محض خالص لا بل هو نور لا كالأنوار إذ هو بريء عن المادة منزه عن الصور عظيم بقدرته. وذهب به التأمل وأخذته الفطنة الربانية إلى القول بحدوث العالم بعد أن لم يكن وأن الله أخرجه إلى الوجود وأنه هو القديم الأزل الذي لم يزل.

وهذا يعني أن ابن طفيل قد اكتشف عظمة الخالق ووحدانيته وعظمته وقدمه وحدوث العالم وصيرورة الوجود ونزهة الباري عز وجلّ عن الصورة والصور ووحده ونزهه دون أن يلجأ في ذلك إلى معرفة سابقة وكان تنزيه الباري والكشف عن طبيعة خلقه بمحض التفكير والتأمل والعقل الذي وهبه الله سبحانه وتعالى



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

للإنسان. فالعقل يكتشف الحقيقة منفرداً وتصفو له المعقولات بعيداً عن النص والرسائل والوحي .

وهذا يعني أن الله وهب الإنسان عقلاً وأن عقل الإنسان قادر على الكشف وإلا تناقض هنا مابين الحقيقة الدينية والحقيقة الإيمانية وأن الدين والعقل يتكاملان في الكشف عن الله وعن خلق الوجود، وهنا يريد ابن طفيل أن يعيد الاعتبار للفلسفة والعقل في لجة الصراع بين العقل والنقل والفلسفة والدين. وبعبارة أخرى يريد المصالحة بين الدين والفلسفة والعقل والإيمان ويريد أن يحقق التوافق بينهما في ردّ مستتر يتسم بعبقرية الإجابة عن سؤال العقل والإيمان، كما أعتقد.

وعندما بلغ "حي بن يقظان" الخمسين من العمر يأتي إلى الجزيرة رجلان، هما: آسال وسلامان، وهما من أهل ملة الإيمان، فأما الأول فهو من أهل الباطن، وأما الثاني فمن أهل الظاهر، وقد حدث أبسال "حي بن يقظان" عن العلم والشريعة، بعد أن علمه الكلام، فوجد (حي) في الشريعة ما اهتدى إليه بالفطرة، بعد نقاش فلسفي شامل وعميق، وهكذا حقق ابن طفيل هذه المصالحة التي كان ينشدها في الأصل بين الفلسفة والدين، وبين العقل والنقل.

فجعلت المراحل حسب ما رأيته صائبا خمس مراحل هي:

- المرحلة الأولى(١):

---

(١)فاروق سعد: **سيرة المعرفة الإنسانية في قصة حي بن يقظان لابن طفيل**، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٨.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

يروي ابن طفيل هذه العلاقة الكونية بين حي وبين الغزالة التي فقدت وليدها فتعهدته بالرعاية. فهي أي الغزالة تقدم له الغذاء وترضعه وتعنى به كأم حقيقية. لقد ألف الظبية وألفته، أحبته الظبية وأحبها وتعلق بها فإن هي غابت اشتد بكاؤه وإن هي حضرت ضج المكان بمناغاته وفرحه. وإن هي سمعته طارت إليه ولامسته ومن حليبها أعطته. وهنا يفترض ابن طفيل أن الجزيرة خالية من السباع والضباع والوحوش الكاسرة.

وعندما يبلغ الطفل الحولين من العمر في هذه المرحلة يتعلم حي عن طريق التقليد والمحاكاة للطيور والحيوانات الأخرى، وتظهر لديه الانفعالات الأولى مثل: الخوف والاستغاثة والقبول والرفض. وكان له ذلك بمساعدة الظبية التي وفرت له أصوات الحيوانات المعبرة عن نقل الانفعالات مثل الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء والاستدفاع". ومع أن حي لم يبلغ العامين من عمره إلا أنه في هذه المرحلة أصبح مهيأ للحياة ومستعداً لها.

- المرحلة الثانية(٢):

وتمتد هذه المرحلة من السنتين حتى السابعة من العمر. وفي هذه المرحلة يبدأ حي يتجاوز مناحي ضعفه وقصوره ويصبح قادراً على أداء بعض الأدوار الضرورية للحفاظ على وجوده واستمرارية حياته. وفي هذه المرحلة يتمكن حي من استخدام الملاحظة والمقارنة والمشاهدة والتأمل. وبدأ يفهم معنى وحدة

(٢) ن، م: ص٨.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

الذات والهوية وانفصاله عن الآخرين ويكتشف الفروق بين الكائنات الحية التي تحيط به. وبدأت أيضاً في هذه المرحلة تظهر لديه بعض العواطف السلبية والإيجابية تجاه الأشياء.

- المرحلة الثالثة(١):

وتبدأ هذه المرحلة من السابعة حتى الحادية والعشرين من العمر، وهي من أطول مراحل النمو عند حي وهي بالتالي تشكل نوعاً من الاستمرارية المؤسسة على المرحلة السابقة والتي تؤسس لمرحلة لاحقة. ففي مستوى الجسد استطاع حي أن يدرك التكامل القائم بين الروح والجسد وبدأ يفهم ماهية كل منهما. فالروح كما يدركها هي أسمى من الجسد، والجسد آلة الروح ومسكنها. وتبلغ معرفة حي عن العلاقة بين الجسد والروح غايتها القصوى ويتفهم وظائف الأعضاء وطبيعتها.

وفي المستوى العاطفي تتمحور عواطف حي ونوازعه الانفعالية نحو الظبية التي منحته الحياة. وقد تعلم من الغراب عملية الدفن دفن الجثث الميتة ومواراتها في التراب. وقد فعل ذلك عندما ماتت أمه الظبية ولكن حبه بقي وجداً روحياً شمل جميع الظباء في الغابة لأنه كان يرى صورة أمه في جميع الظباء. وذلك هو الحب الروحي الذي يعم ويسمو ويأخذ انطلاقته الرمزية. وفي المستوى العقلي نجد أن حي يحقق تقدماً لا يستهان به في مجال

---

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٨.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

التفكير والتأمل والنظر في قضايا الكون والوجود والحياة. واستطاع في هذه المرحلة أن يكتشف علاقات كثيرة أهمها:

١ــ الكشف عن العلاقات بين أشياء متنافرة ومتضادة مثل علاقة الروح بالجسد.

٢ــ عرف أن الإدراك يتم عن طريق الحواس وأن تعطل حاسة ما يؤدي إلى تعطل وظيفتها الإدراكية.

٣ــ إدراك طبيعة الحركة من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى. كما أدرك خصائص المادة الهندسية التي تتعلق بالعمق والطول والعرض والارتفاع.

٤ــ الكشف عن خصائص المادة وأصولها التي تعود إلى الماء والهواء والتراب والنار.

٥ــ الكشف عن مبدأ العلية والسببية بين المظاهر الطبيعية.

- **المرحلة الرابعة(١):**

وتبدأ من الحادي والعشرين حتى الثامن والعشرين من عمر حي.

تأخذ هذه المرحلة مشروعيتها من المرحلة السابقة وتمثل استمراراً لها. وفي هذه المرحلة يفكر حي بالموضوعات السماوية أي في الأفلاك والأجرام والنجوم ثم في قضايا العالم في أصل

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٩.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

العالم وفي قدمه وحدوثه والعلاقة بين المادة والصورة والبحث عن مبدأ العلّية. وفي هذه المرحلة يدرك بأن تحرر الإنسان من ثقل المادة وشهوات الجسد يمكنه من تحقيق التواصل مع الكليات ومعرفة المعقولات وبالتالي تحقيق السعادة الكلية. وهذا يعني أن حي قد بلغ أقصى درجات المعرفة.

- المرحلة الخامسة(٢):

وهي المرحلة التي تقع بين الثامنة والعشرين والخمسين من العمر.

يبلغ حي من النضج العقلي مبلغاً عظيماً ويصل إلى السعادة الكبرى. وسبيله إلى هذه السعادة التحرر من ربقات الجسد ومن الرغبات والشهوات واعتماد الرياضة الفكرية. وهنا يصبح حي صوفياً إشراقياً يتحد مع الكون الأعظم ويدرك معنى الألوهية ويوحد الله عزَّ وجلَّ وينزهه. وفي هذه المرحلة يلتقي بآسال وسلامان ويدور ما يدور بينهم من جدل حول الحقيقة والغايات الكونية المطلقة، ويعرف الثلاثة أن ما يكتسب بالوحي يمكن أن يكتسب بالعقل وأنه ليس هناك من تعارض بين الدين والفلسفة في اقتفاء الحقيقية والوصول إلى غاية الكشف الكلية.

وعلى الرغم من عودة آسال وحي إلى المدينة لهداية المجتمع ولكنهما يمنيان بالفشل ويعترفان بصعوبة تنوير الناس

---

(٢)ن، م: ص٩-١٠.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

بالحقائق الكلية وتخليصهم من عذابهم الأبدي فعادا مهزومين مدحورين إلى الجزيرة أملاً بالخلاص وعزفاً عن الدنيا وتوحدا بالمعرفة اتحاداً مع الحقيقية وإيماناً بالله المنزه عن المادة والصفات. وهذا يعني العودة إلى الطبيعة حيث الصفاء والنقاء والانقطاع إلى عبادة الله عز وجل جلاله

فاعتقد أن " الأساس الفلسفي لهذه القصة هو الطريق الذي كان عليه فلاسفة المسلمين الذين نهجوا على مذهب الافلاطونية الحديثة، وقد صور ابن طفيل الانسان الذي هو رمز العقل في صورة حي بن يقظان واليقظان هو الله، ورمى ابن طفيل من ورائها إلى بيان الاتفاق بين الدين والفلسفة وهو موضوع شغل اذهان مفكري المسلمين كثيرا "(١).

وقصة حي " بلغت من القوة المنطقية حد الروعة، في اسلوب جزل سلس، وقد حوت آراء ابن طفيل في اهم المشاكل الفلسفية و نبالغ اذا قلنا انها مذهب فلسفي كامل تتجلى فيه الدقة بكل معانيها، وقد صور فيها ابن طفيل، حي بن يقظان، وقد نشأ يف جزيرة معزولة عن العالم، ولا اثر فيها لبني البشر، فأخذ بنظر ويتأمل متدرجا من المحسوس إلى المعقول، ومن الجزئيات إلى الكليات، حتى وصل إلى تكوين فكرة عن الله وعن الملأ الأعلى "(٢).



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(١)اخيل بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، د.ت، ص٣٥٠.

(٢)عبد الحليم محمود: **فلسفة ابن طفيل في حي بن يقظان**، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٧، بيروت، ص ١٣.

- **الأبعاد الفلسفية:**

فكرة نشوء حي(١):

حي بن يقظان إنسان تكوّن أو نشأ في جزيرة من جزائر الهند التي تحت خط الاستواء. في تكونه ونشوئه روايتان:

- الأولى أنه ولد من غير أب ولا أم وهو في هذه الولادة يريد أن يخاطب الملحدين الذين يقولن بان الطبيعة هي أم البشر.. وذلك "أن بطناً من أرض تلك الجزيرة تخمرت فيه طينة على مر السنين حتى امتزج فيها الحار بالبارد والرطب باليابس امتزاج تكافؤ وتعادل في القوى. وكانت هذه الطينة المتخمرة كبيرة جداً. وكان بعضها يفضل بعضاً في اعتدال المزاج والتهيؤ لتكوّن الأمشاج. وكان الوسط منها أعدل ما فيها وأتمه مشابهة بمزاج الإنسان. فتمخضت تلك الطينة وحدث فيها شبه نفاخات الغليان لشدة لزوجتها، وحدث في الوسط منها نفاخة صغيرة جداً منقسمة بقسمين بينهما حجاب رقيق ممتلئة بجسم لطيف هوائي في غاية من الاعتدال اللائق به(٢).

فتعلق به عند ذلك الروح الذي هو من أمر الله وتشبث به تشبثاً يعسر انفصاله عنه عند الحسّ وعند العقل، إذ قد تبين أن هذا الروح دائم الفيضان من عند الله عز وجل وأنه بمنزلة نور الشمس

---

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٢١-١٢٣.

(٢)ن، م: ص١٢١-١٢٣.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

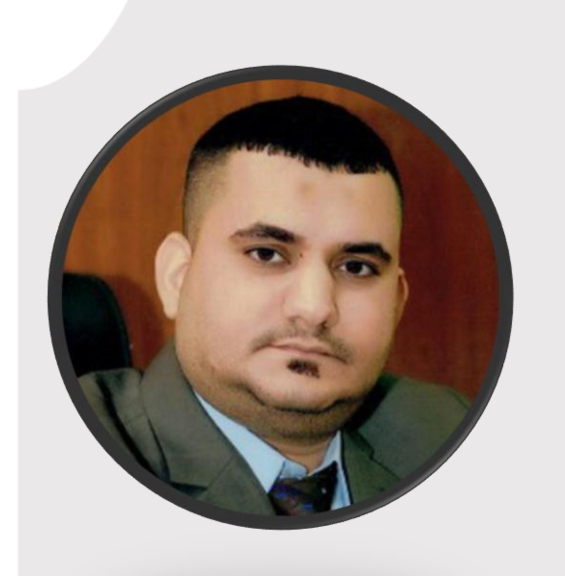
٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

الذي هو دائم الفيضان على العالم... فلما تعلق هذا الروح بتلك القرارة خضعت له جميع القوى وسجدت له بأمر الله في كمالها. فتكوَّن بإزاء تلك القرارة نفاخة أخرى منقسمة إلى ثلاث قرارات بينها حجب لطيفة ومسالك نافذة وامتلأت بمثل ذلك الهوائي الذي امتلأت منه القرارة الأولى إلا أنه ألطف منه... وتكون بإزاء هذه القرارة من الجهة المقابلة للقرارة الثانية نفاخة ثالثة مملوءة جسماً هوائياً إلا أنه أغلظ من الأولين وسكن في هذه القرارة فريق من تلك القوى الخاضعة وتوكلت بحفظها والقيام عليها فكانت هذه القرارات الأولى والثانية والثالثة أول ما تخلَّق من تلك الطينة المتخمرة على الترتيب الذي ذكرناه."

يشرح ابن طفيل في هذا النص نشوء المضغة وتخلُّقها ويستمر في بيان تكوّن مختلف الأعضاء من قلب ودماغ وكبد متضامناً بعضها مع بعض بحيث يتكفل القلب بالحرارة والدماغ بالحس والكبد بالغذاء. وإنما حصل هذا التضامن بنشوء مسالك وطرق بعضهما أوسع من بعض بحسب ما تدعو إليه الضرورة فكانت الشرايين والعروق وارتبط بعض الأعضاء ببعض على شكل مراتب من رئيس ومرؤوس(١).

ولما كمل خلق هذا الكائن على حسب ما وصف الطبيعيون خلقة الجنين في الرحم وتمّت أعضاؤه وصار في حد خروج الجنين



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٢١-١٢٣.

من البطن بعد أن جللته أغشية انشقت تلك الأغشية بشبه المخاض وتصدع باقي الطينة إذ كان لحقه الجفاف.

– الرواية الثانية في ولادة حي ين يقظان أنه "كان بإزاء تلك الجزيرة جزيرة عظيمة متسعة الأكناف كثيرة الفوائد عامرة بالناس يملكها رجل منهم شديد الأنفة والغيرة. وكانت له أخت ذات جمال وحسن باهر فعضلها ومنعها الأزواج إذ لم يجد لها كفواً. وكان له قريب يسمى يقظان فتزوجها سراً على وجه جائز في مذهبهم المشهور في زمنهم، ثم إنها حملت منه ووضعت طفلاً.

وإذا اختلفت الروايتان في نشأة حي فهما تتفقان بعد ذلك في معنى التربية وسيرورتها. ذلك أن الظبية التي تكفّلت به وافقت خصباً ومرعى أثيثاً فكثر لحمها ودرّ لبنها حتى قام بغذاء ذلك الطفل أحسن قيام وكانت معه لا تبعد عنه إلا لضرورة الرعي. وألف الطفل تلك الظبية التي كان بحيث إذا أبطأت اشتد بكاؤه فطارت إليه.

فكرة إلقاءه باليم فلسفة قرآنية(١):

فلما خافت أن يفتضح أمرها وينكشف سرها وضعته في تابوت أحكمت زمّامه بعد أن أروته من الرضاع وخرجت به في أول الليل في جملة من خدمها وثقاتها إلى ساحل البحر وقلبها يحترق صبابة به وخوفاً عليه ثم إنها ودّعته... ثم قذفت به في اليم

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٢٢.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

فصادف ذلك جري الماء بقوة المد فاحتملته من ليلته إلى ساحل الجزيرة الأخرى...

فأدخله الماء بقوته إلى أجمة ملتفة الشجر عذبة التربة مستورة عن الرياح والمطر محجوبة عن الشمس تَزْوَرُّ عنها إذا طلعت وتميل إذا غربت. ثم أخذ الماء في النقص والجزر عن التابوت الذي فيه الطفل وبقي التابوت في ذلك الموضع...

ففي هذا الفعل نستذكر قصة نبي الله موسى عليه السلام عندما ألقته أمه في اليم خوفا عليه من فرعون وجنوده وليكون بعين الله حتى يكون نبي أمته.

- خيال الاحتضان من قبل الظبية واستئناسه بها(٢):

"ثم استغاث ذلك الطفل عند فناء مادة غذائه واشتداد جوعه فلبته ظبية فقدت طلاها."، ولم يكن بتلك الجزيرة شيء من السباع العادية فتربى الطفل ونما واغتدى إلى أن تم له حولان وتدرج في المشي وأثغر فكان يتبع تلك الظبية وكانت هي ترفق به وتحمله إلى مواضع بها شجر مثمر فكانت تطعمه ما تساقط من ثمراتها الحلوة النضيجة، وما كان منها صلب القشر كسرته له بطواحنها، ومتى عاد إلى اللبن أروته، ومتى ظمئ إلى الماء أرْوَته، ومتى ضحا ظللته، ومتى خصر أدفأته، وإذا جن الليل صرفته إلى مكانه الأول، وجللته بنفسها وبريش كان هناك مما ملئ به التابوت أولاً.

(٢)ن، م: ص١٢٣.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

وكانا في غدوهما ورواحهما قد ألفهما ربرب يسرح ويبيت معهما حيث مبيتهما.

- تقليده أصوات الحيوانات(١):

وعلى تلك الحال حكى الطفل نغمة الظبية بل جاوزها إلى حكاية جميع ما يسمعه من أصوات الطير والحيوان ولاسيما أصوات الظباء في الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء والاستدفاع فألفته الوحوش وألفها ولم تنكره ولا أنكرها. ومع ذلك كان يميل إلى بعض منها دون بعض.

- الحاجة والتفكير(٢):

ورأى جميع الحيوانات كاسية بالوبر والشعر والريش كما رأى ما لها من العدو والبطش ومالها من القرون والأنياب والحوافر والمخالب ووجد نفسه عارياً عديم السلاح ضعيف العَدْوِ قليل البطش ففكر في ذلك وطال همه وهو قد قارب سبعة أعوام فاتخذ من أوراق الشجر العريضة ما يستر به بدنه وعمل من أغصان الشجر عصيّاً له هشّ بها على الوحوش المنازعة له، فعلا بذلك قدره عند نفسه. ثم رأى أن ليديه فضلاً على أيديها إذ كان يتصرف بها كما يريد. ولقد صادف في بعض الأيام نسراً ميتاً فقطع جناحيه وذنبه صحاحاً كما هي وسلخ عنه سائر جلده وفصله



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٢٩.

(٢)ن، م: ص١٣٣.

على قطعتين ربط إحداهما على ظهره والأخرى على سرته وما تحتها وعلق الذنب من خلفه وعلق الجناحين على عضديه، فأكسبه ذلك ستراً ودفئاً ومهابة في نفوس الوحوش.

- العاطفة تجبر الإنسان على التفكير والتجربة(١):

بعد أن أسنّت الظبية وضعفت كان يرتاد بها المراعي الخصبة ويجتني لها الثمرات الحلوة ويطعمها، حتى أدركها الموت فسكنت حركاتها بالجملة وتعطلت أفعالها فجزع الصبي جزعاً شديداً وكادت نفسه تفيض أسفاً عليها، ولعاطفته الشديدة لها قام بتشريحها.

- عملية التشريح للجسد ومعرفة عمل القلب(٢):

بعد أن كان يناديها بالصوت الذي اعتاد أن تجيبه عند سماعه ويصيح بأشد ما يقدر عليه فلا يرى حركة ولا تغييراً فشرع يستطلع سبب ما حصل ويبحث جميع أعضائها دون أن يرى آفة فيها إلى أن اهتدى إلى عضو في جانب الصدر ألا وهو القلب فنظر فلم ير فيه آفة ظاهرة ولكنه ألْفى فيه تجويفين أحدهما من الجهة اليمنى مملوء بعلق منعقد والآخر من الجهة اليسرى خال لا شيء فيه، فحدس أن الساكن في ذلك البيت قد ارتحل قبل انهدامه وتركه وهو بحاله وتحقق أنه أحرى ألا يعود إليه، وصار الجسد كله عنده خسيساً لا قدر له بالإضافة إلى ذلك الشيء الذي

---

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٣٣.

(٢)ن، م: ص١٣٥.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

ارتحل عنه. وتشتت فكره في ذلك كله وعلم أن أمه التي عطفت عليه وأرضعته وتعهدته إنما كان ذلك الشيء المرتحل وأن الجسد بجملته كالآلة وبمنزلة العصي التي اتخذها هو لمآرب شتى. وفي خلال ذلك نتن ذلك الجسد وقامت منه روائح كريهة نفرته عنه. ثم سنح لنظره غرابان يقتتلان حتى صرع أحدهما الآخر ميتاً. ثم جعل الحي يبحث في الأرض حتى حفر حفرة وارى فيها ذلك الميت بالتراب. فحفر هو حفرة وألقى فيها جسد أمه وحثا عليها التراب.

- معرفته النار وشوي اللحم(١):

وبقي على ذلك برهة يتصفح أنواع الحيوان والنبات ويطوف بساحل تلك الجزيرة فلم يجد لنفسه شبيهاً ووجد لكل واحد من أشخاص الحيوان والنبات أشباهاً كثيرة. وكان يرى البحر محدقاً بالجزيرة من كل جهة فظن أنه ليس في الوجود أرض سوى أرض جزيرته تلك، واتفق أن انقدحت نار في أجمة قصب أجوف على سبيل المحاكّة فهاله منظرها. فوقف يتعجب فيها ملياً ثم دنا منها ومد يده فلما باشرها أحرقت يده، فاهتدى إلى أن يأخذ منها قبساً لم تستول النار على جميعه فأخذه بطرفه السليم وحمله إلى موضعه الذي يأوي إليه وهو جُحْر استحسنه للسكن قبل ذلك.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٤٠.

- معرفة استخدام بعض الآلات(٢):

ثم دفعته الرغبة إلى البحث عن سائر أعضاء الحيوان وترتيبها وأوضاعها وكمياتها وكيفية ارتباط بعضها ببعض وكيف تستمر لها الحياة من تلك الحرارة التي في القلب فتتبّع ذلك كله بتشريح الحيوانات الأحياء والأموات. ولم يزل ينعم النظر فيها ويجيل الفكرة حتى بلغ في ذلك كله كبار الطبيعيين. فتبين له أن كل شخص من أشخاص الحيوان وإن كان كثيراً بأعضائه وتفنن حواسه وحركاته فإنه واحد بذلك الروح الذي مبدؤه من قرار واحد وانقسامه في سائر الأعضاء منبعث منه، وأن جميع الأعضاء خادمة له أو مؤدية عنه. وهو يصرفها كأنها آلات أنحاءً من التصريف بحسب ما تصلح له كل آلة وبحسب الغايات التي تلتمس بذلك التصريف. فإذا عمل بآلة العين كان فعله إبصاراً، وإذا عمل بآلة الأذن كان فعله سمعاً، وإذا عمل بآلة الأنف كان فعله شماً، وإذا عمل بآلة اللسان كان فعله ذوقاً، وإذا علم بالجلد واللحم كان فعله لمساً، وإذا عمل بالعضد كان فعله حركة، وإذا عمل بالكبد كان فعله غذاءً واغتذاءً. ولا يتم لشيء من هذه فعل إلا بما يصل إليها من ذلك الروح على الطرق التي تسمى عصباً، وتستمد الأعصاب الروح من بطون الدماغ، والدماغ يستمد الروح من القلب. فإن خرج الروح بجملته عن الجسد أو فني أو تحلل بوجه من الوجوه تعطل الجسد كله وصار إلى حالة الموت. وقد انتهى

---

(٢)ن، م: ص١٤٣-١٤٤.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

حي إلى هذا الحد من النظر على رأس أحد وعشرين عاماً من منشئه.

وكان بتلك الجزيرة خيل برية وحمر وحشية فاتخذ منها ما يصلح له وراضها حتى كمل بها غرضه.

- تعدد الأشياء من حوله(١):

ثم بعد ذلك أخذ في مأخذ آخر من النظر فتصفح جميع الأجسام من الحيوان والنبات والمعادن وأصناف الحجارة والتراب والماء والبخار والثلج والبرد والدخان واللهيب والجمر فرأى لها أوصافاً كثيرة وأفعالاً مختلفة وأنعم النظر في ذلك فكشف خصائصها وتعرف طبائعها فرأى حقيقة وجود كل منها مركبة من الجسمية ومن شيء آخر زائد على الجسمية إما واحد وإما أكثر من واحد.

- الروح(٢):

فلاحت له صور الأجسام على اختلافها وهو أول ما لاح له من العالم الروحاني إذ هي صور لا تدرك بالحس وإنما تدرك بضرب ما من النظر العقلي ولاح له أن الروح الحيواني الذي مسكنه القلب لابد له من معنى زائد على جسميته يصلح به لأن يعمل تلك الأعمال الغريبة من ضروب الإحساسات وفنون

---

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٤٨.

(٢)ن، م: ص١٥٠-١٥٨.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

الإدراكات وأصناف الحركات. وذلك المعنى هو صورته وفصله الذي يفصله عن سائر الأجسام ويميزه منها وهو الذي يعبّر عنه بالنفس الحيوانية*.

- حقيقة الجسم(١):

وبالتدرج انتهى إلى أبسط ما قدر عليه من قلة التركيب وهو الأرض والماء والنار والهواء، ثم إلى الصورة التي تلبس المادة وإلى المادة أو الهيولى العارية عن الصورة جملة. ولما انتهى نظره إلى هذا الحد وأشرف على تخوم العالم العقلي حن إلى ما ألفه من عالم الحس فتأمل صور الأركان الأربعة من أرض وماء ونار وهواء. فالماء مثلاً إذا أفرط عليه التسخين استعد للحركة إلى فوق وصلح لها فذلك الاستعداد هو صورته. وعلى العموم صلوح الجسم لبعض الحركات دون بعض هو استعداده وصورته. ولاح له مثل ذلك في جميع الصور فتبين له أن الأفعال الصادرة عنها ليست في الحقيقة لها وإنما هي لفاعل يفعل بها الأفعال المنسوبة إليها.

وهكذا تجاوز جسمية الأجسام إلى صورها وخصائصها التي ينفصل بعضها بها عن بعض. فتأمل بالتفصيل تلك الخصائص والصور التي تميز أنواع الحيوان والنبات والجماد.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

* ينظر: أمين، احمد: **التكامل في الإسلام**، طبعة آثار، ط١، ٢٠٠٦، ج٣، ص ٣٤٨.

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٥٢.

- **كل شيء لا بد له من محدث(٢):**

فلما لاح له من أمر هذا الفاعل ما لاح على الإجمال دون تفصيل حدث له شوق حثيث إلى معرفته على التفصيل. فتصفح جميع الأجسام فلم ير منها شيئاً بريئاً عن الحدوث والافتقار إلى الفاعل المختار. فأطرحها كلها وانتقلت فكرته إلى الأجسام السماوية. وكان ذلك على رأس ثمانية وعشرين عاماً من عمره.

- **الأجسام السماوية(١):**

فعلم أن السماء وما فيها من كواكب أجسام لأنها ممتدة في الأقطار الثلاثة: الطول والعرض والعمق، وأنها جميعاً متناهية. ورأى أن الفلك بجملته وما يحتوي عليه كشيء واحد متصل بعضه ببعض وأن جميع الأجسام كالأرض والماء والهواء والنبات والحيوان وما شاكلها هي كلها في ضمنه وأنه كله أشبه شيء بشخص من أشخاص الحيوان. وما فيه من الكواكب المنيرة هي بمنزلة حواس الحيوان، وما فيه من ضروب الأفلاك المتصل بعضها ببعض هي بمنزلة أعضاء الحيوان، وما في داخله من عالم الكون والفساد هو بمنزلة ما في جوف الحيوان من أصناف الفضول والرطوبات.

---

(٢)ن، م: ص١٦٤-١٦٥.

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٦٦.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

- **كل الأجسام متناهية(٢):**

فلما تبين له أنه كله كشخص واحد في الحقيقة قائم محتاج إلى فاعل مختار تفكر في العالم بجملته هل هو شيء حدث بعد أن لم يكن وخرج إلى الوجود بعد العدم؟ أو هو أمر كان موجوداً فيما سلف ولم يسبقه العدم بوجه من الوجوه. فتشكك في ذلك، وانتهى بعد التشكك في قدم العالم أو حدوثه إلى أنه لابد على كلا الوجهين من وجود فاعل غير جسم و لا متصل بجسم ولا منفصل عنه ولا داخل فيه ولا خارج عنه، إذ الاتصال والانفصال والدخول والخروج هي كلها من صفات الأجسام وهو منزه عنها. وإذن فالعالم كله بما فيه من السماوات والأرض والكواكب وما بينها وما فوقها فعله وخلقه، وهو متأخر عنه بالذات وإن كان غير متأخر بالزمان في وجه من الوجهين اللذين سلف ذكرهما. وعندئذ تصفح الموجودات مرة جديدة تصفحاً على طريق الاعتبار في قدرة فاعلها والتعجب من غريب صنعته ولطيف حكمته ودقيق علمه. وتبين له في أقل الأشياء الموجودة فضلاً عن أكثرها من آثار الحكمة وبدائع الصنعة ما قضى منه كل العجب، وتحقق عنده أن ذلك لا يصدر إلا عن فاعل مختار في غاية الكمال وفوق الكمال. وكل شيء له حسن أو بهاء أو كمال أو قوة أو فضيلة من الفضائل هو من فيض ذلك الفاعل ومن جوده ومن فضله. وانتهت به المعرفة إلى هذا الحد على رأس خمسة وثلاثين عاماً من منشئه، وقد رسخ في قلبه

---

(٢)ن، م: ص١٦٨-١٦٩.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

من أمر هذا الفاعل ما شغله عن الفكرة في كل شيء إلا فيه. وذهل عما كان فيه من تصفح الموجودات والبحث عنها حتى صار بحيث لا يقع بصره على شيء إلا ويرى فيه أثر الصنعة فينتقل بفكره على الفور إلى الصانع حتى اشتد شوقه إليه وانزعج قلبه بالكلية عن العالم الأدنى المحسوس وتعلق بالعالم الأرفع المعقول.

- دائرية مسار الكواكب(١):

فنظر أولا إلى الشمس والقمر وسائر الكواكب فرآها كلها تطلع من جهة المشرق فما كان يمر على سمت رأسه، رآه يقطع دائرة عظمى، وما مال عن سمت رأسه إلى الشمال أو إلى الجنوب، رآه يقطع دائرة أصغر من تلك، وما كان أبعد عن سمت الرأس إلى أحد الجانبين، كانت دائرته أصغر من دائرة ما هو أقرب، حتى كانت أصغر الدوائر التي تتحرك عليها الكواكب*.

- قدم العالم(٢):

ورأى أيضاً انه إن اعتقد قدم العالم، وان العدم لم يسبقه، وانه لم يزل كما هو، فان اللازم عن ذلك أن حركته قديمة لا نهاية لها من جهة الابتداء، إذ لم يسبقها سكون يكون مبدؤها منه، وكل حركة فلابد لها من محرك ضرورة، والمحرك أما أن يكون قوة سارية في جسم من الأجسام - أما جسم المتحرك نفسه، وأما جسم



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٦٨.

* ينظر: ابن طفيل: **رسالة حي بن يقظان**، منشورات الجمل، بغداد، ط١، ٢٠٠٧، ص٦٧.

(٢)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٧٢.

أخر خارج عنه – وإما أن تكون قوة ليست سارية ولا شائعة في جسم. وكل قوى سارية في جسم وشائعه فيه، فإنها تنقسم بانقسامه، وتتضاعف بتضاعفه، مثل الثقل بالحجر مثلاً. المحرك إلى الأسفل*.

– افتقار العالم إلى خالقه الدائم الوجود(١):

ولما كانت المادة في كل جسم مفتقرة إلى الصورة، إذ لا تقوم إلا بها ولا تثبت لها حقيقة دونها، وكانت الصورة لا يصح وجودها إلا من فعل هذا الفاعل تبين له افتقار جميع الموجودات في وجودها إلى هذا الفاعل وأنه لا قيام لشيء منها إلا به فهو إذن علة لها، وهي معلومة له، سواء كانت محدثة الوجود، بعد أن سبقها العدم، أو كانت الابتداء لها من جهة الزمان، ولم يسبقها العدم قط، فإنها على كلا الحالتين معلولة، ومفتقرة إلى الفاعل، متعلقة الوجود به، ولولا دوامه لم تدم، ولولا وجوده لم توجد، ولولا قدمه لم تكن قديمة، وهو في ذاته غني عنها وبريء منها! وكيف لا يكون كذلك وقد تبرهن أن قدرته غير متناهية، وأن جميع الأجسام وما يتصل بها أو يتعلق بها، ولو بعض التعلق، هو متناه منقطع.

– كمال الخالق الذي هو متناهي الدقة في خلقه(٢):

---

* ينظر: الصدر، محمد باقر: **فلسفتنا**، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٧٢.

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٧٤.

(٢)ن، م: ص١٨٣.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

فلما تبين له أن كمال ذاته ولذتها إنما هو بمشاهدة ذلك الموجود الواجب الوجود على الدوام، مشاهدة بالفعل أبداً، حتى لا يعرض عنه طرفة عين لكي توافيه منيته، وهو في حال المشاهدة بالفعل، فتتصل لذته دون أن يتخللها ألم. ثم جعل يتفكر كيف يتأتى له دوام هذه المشاهدة بالفعل، حتى لا يقع منه أعراض فكان يلازم الفكرة في ذلك الموجود كل ساعة، فما هو إلا يسنح لبصره محسوس ما من المحسوسات، أو يخرق سمعه صوت بعض الحيوان، أو يتعرضه خيال من الخيالات، أو يناله ألم في أحد أعضائه، أو يصيبه الجوع أو العطش أو البرد أو الحر، أو يحتاج القيام لدفع فضوله؛ فتختل فكرته، ويزول عما كان فيه، ويتعذر عليه الرجوع إلى ما كان عليه من حال المشاهدة، إلا بعد جهد. وكان يخاف أن تفاجئه منيته وهو في حال الأعراض، فيفضي إلى الشقاء الدائم، وألم الحجاب.

- واجب الوجود(١):

وأما أشرف جزأيه، فهو الشيء الذي به عرف الموجود الواجب الوجود، وهذا الشيء العارف، أمر رباني الهي يستحيل ولا يلحقه الفساد، ولا يوصف بشيء مما توصف به الأجسام، ولا يدرك بشيء من الحواس، ولا يتخيل، ولا يتوصل إلى معرفته بآلة سواه، بل يتوصل إليه به؛ فهو العارف والمعروف، والمعرفة؛ وهو العالم، والمعلوم، والعلم؛ لا يتباين في شيء من ذلك، إذ التباين



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

(١)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص ١٨٨-١٨٩.

والانفصال من صفات الأجسام ولواحقها، ولا جسم هنالك ولا صفة جسم ولا لاحق بجسم! فلما تبين له الوجه الذي اختص به من بين سائر أصناف الحيوان بمشابهة الأجسام السماوية، رأى إن الواجب عليه أن يتقبلها ويحاكي أفعالها ويتشبه بها جهده*.

- السعادة ومعناها(٢).

فلما تبين له أن مطلوبه الأقصى هو هذا التشبه الثالث، وأنه لا يحصل له إلا بعد التمرن والاعتمال مدة طويلة في التشبه الثاني، وان هذه المدة لا تدوم له بالتشبه الأول، وعلم أن التشبه الأول - وان كان ضرورياً، فانه عائق بذاته وان كان معيناً بالعرض لا بالذات لكنه ضروري- فألزم نفسه أن لا يجعل لها حظاً من هذا التشبه الأول، إلا بقدر الضرورة، وهي الكفاية التي لا بقاء للروح الحيواني بأقل منها. ووجد ما تدعو إليه الضرورة في بقاء هذا الروح أمرين: أحدهما: ما يمده من الداخل، ويخلف عليه بدل ما يتخلل منه وهو الغذاء. والأخر: ما يقيه من الخارج، ويدفع عنه وجوه الأذى: من البرد والحر والمطر ولفح الشمس والحيوانات المؤذية ونحو ذلك. ورأى أنه إن تناول ضرورية من هذه جزافاً كيفما اتفق، ربما وقع في السرف واخذ فوق الكفاية. فكان سعيه على نفسه من حيث لا يشعر، فرأى أن الحزم له أن يفرض لنفسه فيها حدوداً لا يتعداها، ومقادير لا يتجاوزها، وبأن له الفرض يجب



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

---

* ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، **شرح بداية الحكمة** ، تح: محمد مهدي المؤمن، منشورات ذوي القربى، ط٢، ج٢، ص١٦٢.

(٢)ابن طفيل: **حي بن يقظان**، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص١٩٢.

أن يكون في جنس ما يتغذى به. وأي شيء يكون وفي مقداره وفي المدة التي تكون بين العبادات إليه.

- السعادة ووسائطها(١):

وما زال يقتصر على السكون في قصر مغارته مطرقاً، غاضاً بصره، معرضاً عن جميع المحسوسات والقوى الجسمانية، مجتمع الهم والفكرة في الموجود الواجب الوجود وحده دون شركه؛ فمتى سنح بخياله سانح سواه، طرده عن خياله جهده، ودافعه وراض نفسه على ذلك، ودأب فيه مدة طويلة، بحيث تمر عليه عدة أيام لا يتغذى فيها ولا يتحرك. وفي خلال شدة مجاهدته هذه ربما كانت تغيب عن ذكره وفكره جميع الأشياء إلا ذاته، فانها كانت لا تغيب عنه في وقت استغراقه بمشاهدة الموجود الأول الحق الواجب الوجود.

- بعض عجائب المشاهدة(٢):

انه لما فني عن ذاته وعن جميع وعن جميع الذوات ولم ير في الوجود إلا الواحد القيوم، وشاهد ما شاهد، ثم عاد إلى ملاحظة الاغيار عندما آفاق من حالة تلك التي شبيه بالسكر، خطر بباله انه لا ذات له يغاير بها ذات الحق تعالى، وان حقيقة ذاته هي ذات الحق، وان الشيء الذي كان يظن أولاً انه ذات المغايرة لذات

---

(١)ابن طفيل: حي بن يقظان، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٢٠٤.

(٢)ن، م: ص٢٠٧.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

الحق، ليس شيئاً في الحقيقة، بل ليس ثم شيء إلا ذات الحق، وان ذلك بمنزلة نور الشمس الذي يقع على الأجسام الكثيفة فتراه يظهر فيها. فإنه وإن نسب إلى الجسم الذي يظهر فيه، فليس هو في الحقيقية شيئاً سوى نور الشمس. وان زال ذلك الجسم زال نوره، وبقي نور الشمس بحاله لم ينقص عند حضور ذلك الجسم ولم يزد عند مغيبه.

- اللقاء بآسال(١):

إلى إن اتفق في بعض تلك الأوقات إن خرج حي بن يقظان لالتماس غذائه وأسال قد ألم بتلك الجهة، فوقع بصر كل منهما على الآخر. فإما أسال فلم يشك أنه من العباد المنقطعين، وصل تلك الجزيرة لطلب العزلة عن الناس كما وصل هو إليها. فخشي إن هو تعرض له وتعرف به إن يكون سبباً في فساد حاله وعائقاً بينه وبين أمله. واما حي بن يقظان فلم يدر ما هو، لأنه لم يره على صورة شيء من الحيوانات التي كان قد عاينها قبل ذلك. وكان عليه مدرعة سوداء من الشعر والصوف، فظن إنها لباس طبيعي. فوقف يتعجب منه ملياً. وولى أسال هارباً منه خيفة أن يشغله عن حاله، فاقتفى حي بن يقظان أثره لما كان في طباعه من البحث عن الحقائق. فلما رآه يشتد في الهرب. خنس عنه وتوارى له، حتى ظن أسال انه قد انصرف عنه وتباعد من تلك الجهة. فشرع أسال في الصلاة والقراءة، والدعاء والبكاء، والتضرع

(١)ابن طفيل: حي بن يقظان، تح: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٨، بيروت، ص٢٢١.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

والتواجد، حتى شغله ذلك عن كل شيء. فجعل حي بن يقظان يتقرب منه قليلاً قليلاً، وأسال لا يشعر به حتى دنا منه بحيث يسمع قراءته وتسبيحه، ويشاهد خضوعه وبكائه.

- لا تعارض بين حقائق الرسل والفطرة:

مما استشفيته من هذه الرسالة القصصية الرائعة لابن طفيل أن الله سبحانه عز وجل قد جعل في الإنسان فطرة تدله إلى معرفته وتوجهه إلى منال سعادته وانه مما استطال به الزمان فهو عائد إلى ربه الذي خلقه فسواه ودبر أموره، واستطاع حي وبفطرته الذاتية أن يتوصل إلى الله، كما من أرسل إليه الأنبياء والرسل من قبل الله سبحانه عز وجل فالفطرة والرسل طريقان يؤديان بالإنسان إلى الرب.

إن الحديث عن رســالة ابن طفيل الفلسفية القصصية يثر عما هو مميز في قصـــة حي بن يقضـــان من التفرد في اعتماد الفكرة، والابتكـــار في البنــاء الفني، والبراعـــة في المعـــالجة، والفعـــالية في الإيحاء، فإنها أيضـــا تعتبر كتابا علميا يحمل بين طياته مجموعة من المعارف العلمية في مجالات علمية ومعرفية مختلفة، تتنوع بتنوع طول الحياة التي عاشـــها حي بفطرته، ثم حواســـه، وملاحظاته وتجاربه التي أفرزت في نهاية المطاف، نتائج ومعطيات ما جربه و خبره في عالم الكون والفســـاد. غير أن المآل الذي وصـــل له ابن طفيل من خلال قصته يجعل أكثر الباحثين ينزع الجانب العلمي عن القصة، هذا المآل الذي يخلص



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني:

إليه هو تلك الحكمة الإشـــراقية. فإلى أي حد يمكن اعتبار قصة حي بن يقضان قصة تحمل بين طياتها مناهج وأفكار علمية.

نرى في القصة ضربا كثيرا على مسألة العقل الذي يدندن حولها كثيرا الفلاســـفة، ولذلك لاقت قصــــة حي بن يقظان هذه رواجـــا عظيمـــا بين المفكرين والعقلانيين، ولا يزال كثير من هؤلاء يعتبر هذه القصـــة الفيصــــل في قضية العقل ولا يزالون يؤمنون بأن العقل موهبة طبيعية تنمو من تلقاء نفسها سواء عاش الإنسان في مجتمع أم عاش منذ ولادته وحيدا منعزلا.

يعرض ابن طفيل في قصته أن عقل هذا الإنسان استطاع أن يفكر ويســـتنتج حتى توصــــل بتفكيره المجرد إلى كثير من الحقائق الكونية التي توصــل إليها الفلاسفة العظام من قبل وهذا العقـــل البشـــري ينمو من تلقاء ذاته ولا حاجة به إلى التعلم أو التلقين. هذه القصــــة الفلسفية سلك فيها مؤلفها مسلك من مسالك الباطنية وهو التعبير بالرمز عن الحقائق التي يخفونها.

لقد عرض ابن طفيل في هذه القصــــة ســـيرة المعرفة الإنســـانية، عبر ســـيرة ربيب ظبية دُعِي حي بن يقظان، وكيف تمكن بفطرتـــه الفائقة من الارتقاء بالمعرفة عن طريق الحواس والتجربـــة إلى المعرفـــة العقلية القائمة على نتائج ومعطيات ما جربه وخبره في عالم الكون والفســـاد حتى وصـــل إلى الحكمة الشرقية.



الباحث:

د. جعفر جمعة زبون البهادلي.

التحصيل الدراسي:

دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها، النقد الادبي الحديث.

الهاتف:

٠٧٧١٧٤٦٠٥١٧

٠٧٩٠١٣٥٠٠٠٦

البريد الالكتروني: